مجلة القرطاس
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index

تجليات الوصف فـــي المجموعة القصصية 14 قصة من مدينتي لكامل حســـــــــــن المقهور

د.سالمة الأحمـــر عبدالقادر زبيدة*
قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة طرابلس، ليبيا
Slmaalehmer55@gmail.com
0009-0004-3684-1220
تاريخ الارسال2026/4/9م تاريخ القبول 2026/8/3م

Manifestations of description in the short story collection '14 Stories from My City' by Kamel Hassan Al-Maqhur Dr. Salma Al-Ahmar Abdulqader Zubaida

* Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Languages, University of Tripoli, Libya
Slmaalehmer55@gmail.com

ABSTRACT
Description is a literary narrative technique that introduces characters, depicts settings, enhances the reader's imagination, and creates a sense of realism by bringing fictional events closer to lived experience. This study aims to examine this technique in the short story collection Fourteen Stories from My City by the Libyan writer Kamal Al-Maghour.It investigates the use of description across the narrative elements of the collection, including characters, events, and settings, while also exploring the various functions that description perform within these stories.
Keywords: Short Story-Description-Character-Event-Setting.

الملخـــــــــــص:
الوصف تقنية فنية من تقنيات السرد الحكائي؛ يُعرف بالشخصيات، ويصور الأماكن، ويقرب الخيال، ويماثل الواقع، وسيعمل هذا البحث على استجلاء هذه التقنية في

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

المجموعة القصصية "أربعة عشر قصة من مدينتي" للكاتب الليبي كامل حسن المقهور، وتتبعها في عناصر القصص في هذه المجموعة من شخصيات وأحداث، وأماكن، وكذلك استقصاء وظائف الوصف في قصص هذه المجموعة.

الكلمات المفتاحيـــــــة: القصة القصيرة - الوصف - الشخصية - الحدث - المكان.

المقدمة:

استطاعت القصة الليبية القصيرة المعاصرة أن تتبوأ مكانة رفيعة في مجالها، بما وصلت إليه من تميز، ووفرة نتاج، وبروز أسماء من القصاصين عبر مراحل التأليف المتوالية، ومما لا شك فيه أن لهذه الرفعة، والتميز أسسا متينة، ودروبا معبدة مهدها، وأسس لها من سبق من الرواد في هذا المجال، فالقصة الليبية مقارنة بنظيرتيها العالمية والعربية ظهرت متأخرة عنهما -لأمور عدة لا يسع المجال لعرضها- ومع هذا التأخير استطاعت القصة الليبية القصيرة أن تُرسخ وجودها، وتبدأ مسيرها في مراحل متلاحقة أرخ المختصون لبداياتها بثلاثينيات القرن الماضي، إلا أنها تراجعت وقتداك، ثم استأنفت مسيرها، واستوى نضجها في ستينيات، وسبعينيات القرن ذاته، واستمر التطور، وزاد النتاج، حتى وصلت إلى هذا الازدهار اللافت؛ ولأهمية النتاجات الأولى التي كانت حجر الأساس، و نال بها رواد القصة الليبية القصيرة قصب السبق في نتاج ليبي خالص، و خاص؛ لكل ذلك كان اختيار المجموعة القصصية " 14 قصة من مدينتي" للكاتب كامل حسن المقهور الصادرة في منتصف ستينيات القرن الماضي أي قبل ما يربو عن ستين عاما، والوقوف من خلالها عند القصة الليبية في تلك الحقبة الزمنية، في موضوعاتها، وأساليبها، وملامحها الفنية؛ وتبين المستوى الفني الذي كانت عليه من خلال تقنية الوصف، واستجلائها في هذه المجموعة القصصية.

وقد قُسم البحث إلى مهاد نظري لعرض أبرز المفاهيم الواردة فيه، ومبحثين: تناول الأول منهما تجليات الوصف في الشخصيات، والأماكن، والأحداث في المجموعة القصصية المختارة بينما تناول المبحث الآخر وظائف الوصف: التزيينية، والإيهامية، والايقاعية، والتفسيرية في المجموعة القصصية ذاتها.

منهج البحث

استدعى موضوع البحث، ومادته اعتماد المنهج الوصفي، الذي يقوم على عرض مادة البحث، ووصفها، وتحليلها، واستخلاص أبرز نتائج البحث فيها.

الدراسات السابقة

مع البحث، والاستقصاء لم تتوافر لي دراسة تختص بالوصف في المجموعة القصصية " 14 قصة من مدينتي" دراسة خاصة مستقلة؛ كذلك لا يوجد مؤلَف يختص

بدراسة تقنية الوصف في القصة الليبية القصيرة، أما على مستوى التأليف العربي الخاصة بالوصف لذاته فقليلة إلا ما كان منها دراسات أكاديمية، أو أبحاث، ومقالات في دوريات أدبية تناولت تقنية الوصف في مفهومه، وأنواعه، ووظائفه، ومن بين المؤلفات الخاصة بتقنية الوصف الحكائي كتاب جماليات تشكيل الوصف في القصة القصيرة، للدكتور نبهان السعدون، وتضمنت أبواب هذا الكتاب بالإضافة إلى عرض المفاهيم؛ جماليات تشكيل وصف الشخصية والحدث، والمكان، والأشياء، وكذلك تشكيل أنماط الوصف من مقيد، وبسيط، وموضوعي، وتصنيفي، وكذلك جماليات تشكيل وظائفه.

أما المؤلفات التي تناولت الوصف، وأفردت له جانبا من محتوياتها كتاب **بناء الرواية** لسيزا قاسم، حيث تناولت الكاتبة تقنية الوصف من حيث وصف المكان، وطبيعة الوصف، ووظيفته، وعلاقة الوصف بالسرد.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى الاهتمام بالأدب الليبي الحديث في مرحلة النضج الفني، والبحث في تقنياته الفنية التي أسست ومهدت الطريق للقصة القصيرة المعاصرة لتصل إلى ما وصلت إليه من تطور، وازدهار.

المهاد النظري

تستدعي مادة البحث أن تُسبق بعرض مفاهيم المصطلحات الواردة في العنوان، كما حددها واستقر عليها المختصون في مجال اللغة، والأدب، ومن بينها:

1 ـ الوصف

يمثل الوصف في سياقه العام ركيزة أساسية في أسلوب لغة التواصل المنطوقة، والمكتوبة لما له من "دور في تحقيق بعض مقاصد المتكلمين سواء كانت جمالية فنية، أو تواصلية نفعية؛ فهو يوضح ويدقق ويعرِّف، وقد يُستعمل وسيلة إلى التأثير أو الإقناع، وقد يكون مصدر لذة وامتاع" [1]

أما الوصف في الأدب فإن له أهمية كبيرة، ودور فعال في تحويل عناصر الخطاب إلى صور، ومشاهد تتشكل في ذهن المتلقي، وتقارب عالمه الواقعي؛ ومن هنا فقد وقف الأدباء والنقاد العرب، والغربيون عند الوصف، ووضعوا له تعريفات لغوية، واصطلاحية قديما، وحديثا؛ ومن تعريفات الوصف الاصطلاحية القديمة أنه "ذكرُ الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات"([2]) وكذلك أنه "ما نُعت به الشيء حتى يكاد يمثله

عيانا للسامع" ([3]) غير أن اهتمام النقاد العرب القدامى في الوصف كان محدودا، ومقتصرا على ما يرد منه في الشعر في صوره البلاغية؛ أما حديثا فقد حظي الوصف باهتمام أكبر؛ كونه تقنية فنية جمالية تهدف من خلال عناصر الخطاب إلى الجمال الأدبي، والتأثير الفني، ووسيلة من وسائل السرد الفاعلة في تشكيل عالم سردي خاص، ومن هنا تعددت تحديدات مفهوم الوصف، وتنوعت، ومنها أنه: "نشاط فني يُمثل باللغة: الأشياء، والأشخاص، والأمكنة وغيرها، وهو أسلوب من أساليب القصة يتخذ أشكالا لغوية كمفردات، ومُركب نحوي، ومقطع" ([4]) ومن تعريفاته أيضا أنه "أسلوب إنشائي يتناول ذكر الأشياء في مظهرها الحسي، ويقدمها للعين، فيمكن القول أنه لون من التصوير بمفهومه الضيق يخاطب العين أي النظر، ويمثل الأشكال، والألوان، والظلال"([5]) وكذلك هو "عرض وتقديم الأشياء، والكائنات، والوقائع، والحوادث" ([6])

والوصف تقنية من التقنيات الفنية الفاعلة في السرد؛ حيث تعمل هذه التقنية على "الكشف عن الأماكن الطبيعية، ووصف الشخصية في مظهرها الخارجي، أو وصفها في طباعها، وأخلاقها، أو وصف مشاهد قائمة على الحركة، أو وصف مشاهد، وكائنات خيالية" ([7]) حتى أن البعض عدّه "عنصر من عناصر السرد بل إنه قد يكون أكثر ضرورة للنص السردي، على اعتبار أنه لا يوجد عمل إبداعي تعرف الحكاية طريقه يأتي خاليا من الوصف، فالوصف آلية [8]فاعلية في عالم السرد حتى أنه لا ينهض بذاته" ([9])

ثانيا ــ القصـــــــــــــة:

تُعــرَّف القصة لغة في المعاجم القديمة بأنها : " الخبر وهو القصص، وقص علي خبره يقصه قصا وقصصا: أورده، والقصص: الخبر المقصوص، بالفتح، وُضع موضع المصدر حتى اغلب عليه، والقصص بكسر القاف، جمع القصة التي تُكتب، وتقصص الخبر تتبعه، والقصة الأمر والحديث، واقتصصت الحديث رويته على وجهه، وقص عليه الخبر قصصا، والقصص هو الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه تتبع معانيها، وألفاظها" ([10])، ولم يختلف المفهوم اللغوي في المعاجم الحديثة عنه في المعاجم

القديمة؛ حيث تُعرَّف القصة لغة في المعجم الوسيط بأنها "القصة التي تكتب والجملة، والكلام، والحديث والأمر، والخبر والشأن"([11])

أما اصطلاحا فعُرِّفت القصة بأنها "حكاية تعتمد على السرد، والوصف، وقد يدخل فيها الحوار أحيانا"([12])

علائق الوصف والقصة

يرتبط الوصف والقصة في علائق اتصال، وتكامل؛ حيث يتيح الوصف للشخصيات، والحدث، والمكان أن تتجسد في ذهن المتلقي، ويقدمها له في صور، ومشاهد مدركة أمامه بحواسه؛ مما يشد المتلقي، ويثير اهتمامه، ويُحدث فيه التأثير المطلوب "إن النص الروائي في جملته ينقسم إلى مقاطع وصفية، ومقاطع سردية، وأيضا إلى حوار؛ إنما الثنائية الأساسية هي بين السرد والوصف، وتتناول المقاطع السردية الأحداث، وسريان الزمن، أما المقاطع الوصفية فتتناول تمثيل الأشياء الساكنة" ([13])

أما عن صلة الوصف بالمكان فلا يمكن أن يقوم السرد بدوره في إظهار المكان بدون الوصف فإنه إن "كان السرد يشكل أداة الحركة الزمنية في الحكي؛ فإن الوصف هو أداة تشكل صورة المكان (...) وعن طريق التحام السرد، والوصف ينشأ فضاء الرواية"([14])

المبحث الأول ـ تجليات الوصف في المجموعة القصصية " 14 قصة من مدينتي"

في هذا المبحث ستعمل الباحثة على استجلاء وصف الشخصيات، وحركتها في أبعادها الخارجية، والداخلية و كذلك تجلي وصف الأحداث، وفضاءات الأماكن.

أولا ـ تجليات وصف الشخصيات:

تُعد الشخصية عنصرا من عناصر السرد الحكائي، وقد عُرِّف هذا العنصر تعريفات كثيرة من بينها أنه "عنصر فاعل يؤثر في الحدث، تدور حوله بعض أجزاء من القصة، وتتحدد ملامحه عن طريق وصف سلوكه، ووظيفته الاجتماعية، وخصائصه النفسية، والجسمانية ذلك من خلال حديثه، أو من خلال وصف الراوي له بصورة محددة"([15])

وكذلك أن الشخصية "مجموع الصفات التي كانت محمولة للفاعل من خلال الحكي، ويمكن أن يكون هذا المجموع منظما، أو غير منظم" ([16])

وفي تعريف جامع للشخصية أنها "نمط سلوكي مركب، ثابت، ودائم إلى حد كبير، يميز الفرد من الناس، ويتكون من تنظيم فريد لمجموعة من الوظائف، والسمات، والأجهزة المتفاعلة معها، والتي تضم القدرات العقلية، والوجدان، أو الانفعال، والنزوع، أو الإرادة، وتركيب الجسم والوظائف الفيزيولوجيا، والتي تحدد طريقة الفرد الخاصة في الاستجابة، وأسلوبه الفريد في التوافق للبيئة"([17])

طرق عرض الشخصية

لكاتب القصة الخيار في تحديد أساليب تقديم الشخصيات سواء كانت الشخصيات الرئيسة أم الشخصيات الثانوية، وعرض ملامحها، وسماتها حيث "يعمد الراوي في رسم شخصياته وأبطاله إلى (وسائل مباشرة)الطريقة التحليلية، وأخرى (غير مباشرة)الطريقة التمثيلية؛ ففي الحالة الأولى يرسم شخصياته من الخارج يشرح عواطفها، وأحاسيسها، بواعثها، وأفكارها، ويعلق على بعض تصرفاتها، ويفسر بعضها الآخر، وكثيرا ما يعطينا رأيه فيها بصراحة ودونما التواء؛ أما في الحالة الثانية فإنه ينحيّ نفسه جانبا ليتيح للشخصية التعبير عن نفسها والكشف عن جوهرها بأحاديثها، وتصرفاتها الخاصة، كما قد يعمد إلى توضيح بعض صفاتها عن طريق أحاديث الشخصيات الأخرى عنها، وتعليقها على أعمالها"([18])

الوصف والشخصية

و من هنا فإن للوصف دور في إظهار الشخصيات، والتعريف بها، وإبراز ملامحها، وصفاتها، وقد تعددت صور وصف الشخصية في المجموعة محل الدراسة، ولأجل بيان ذلك لابد من التعريج على تقسيمات أبعاد الشخصية التي وضعها الأدباء والنقاد؛ والتي تتمثل في ثلاثة أبعاد رئيسة تندرج تحتها صور الوصف المختلفة، وهذه الأبعاد هي: "البعد الجسمي، والبعد النفسي، والبعد الاجتماعي"([19]) "فالبعد الجسمي يُعنى بمظهر الشخصية الخارجي، ومواصفاتها الشكلية، وقسماتها الجسدية، أما البعد النفسي فيجسد النطاق الداخلي للنفس الإنسانية التي تمثلها الشخصية حيث الدوافع، والمشاعر، والعقد،

.

والمـؤثرات، وفـي البعـد الاجتمـاعي يحـيط الكاتـب بـالظروف الخارجيـة للشخصـية، وأحوالها داخل نطاق المجتمع"([20])

وبـذا فـإن لوصـف الشخصـية القصصـية، أو السـردية بشـكل عـام بعـدان: خـارجي، ويتمثل في البعدين الجسمي، والاجتماعي؛ وداخلي ويتمثل في البعد النفسي الفكري، وفيمـا يلـي عـرض لوصـف الشخصـيات فـي هـذه المجموعـة القصصـية فـي أبعادهـا المذكورة:

1 ـ البعد الخارجي

وكما سبق ذكره فإن هذا البعد يظهر في وصف الشخصية الجسمي، والاجتماعي

أ ـ البعد الجسمي

ويمثل البعد الخارجي الجسمي الجانب الظاهر للشخصية من حيث الملامح، والاسم، والعمر ونوع الجنس، ويعد هذا البعد من أهم المظاهر الشخصية لما له من ملامح تميز تلك الشخصية، فالبعد الجسمي يتمثل في الجنس الذي تنسب إليه الشخصية ذكرا أو أنثى، وعلى الصفات المختلفة للجسم، من طول، وقصر، وبدانة، ونحافة، وعيوب خلقية ([21])

بتتبع قصص المجموعة موضوع البحث نقف عند بعض من صور الوصف من خلال البعد الجسمي، ومنها المتداخل مع البعد النفسي ومن بينها "في كل زاوية شبح للقلق معلق على الجدار.. وفي وسطها امرأته.. خدوجة.. شاحبة.. طويلة.. بضفائرها القصيرة المتدلية من وراء التسمال.. وحزام ردائها يقسمها قسمين.. وفي عينيها نظرة رمادية تعبة

- نرفعوه للسبيتار..

وتلمع النظرة الرمادية في جو الحجرة.. ويبتسم القلق في الزوايا.." ([22])

في هذا المشهد القصصي الذي يجمع الشخصية الرئيسة وزوجته، وابنهما المريض، قدم السارد في وقفة وصفية شخصية الزوجة أم الطفل المريض التي تخاف عليه من الموت إن أخذه أبوه إلى المستشفى "السبيتار" فتقديم الشخصية هنا كان من خلال البعد الخارجي المتمثل في الاسم، واللباس الذي تظهر من خلاله هوية الشخصية الليبية، والوصف الجسمي المتمثل في طول القامة، وقصر الضفائر ثم ربط بين الوصف

الجسمي، والنفسي، في صفة الشحوب، والنظرة الرمادية التي تظافرت مع وصف المكان في وصف يرمز لحالة القلق، والخوف التي غلبت على المشهد.

ومن المشاهد الوصفية المشابهة التي تقدم الشخصية في أبعادها الخارجية أيضا "ويصعد عبدالله إلى مكانه القديم فوق حائط الجبانة.. وعلى شفتيه ابتسامة أليمة.. وحبات من الدموع يمنعه كبرياؤه من ذرفها أمام الصغار"([23])

اجتمعت في هذا المشهد طريقتا الوصف التمثيلي، والتحليلي في عرض الشخصية حيث قدم الراوي الشخصية من خلال الاسم، والعمر، ووصف الابتسامة بالأليمة، و والوصف التحليلي بأن الدموع يمنعها الكبرياء من النزول في صورة بما يظهر الراوي أسلوب الراوي العالم بالشخصية.

ب ـ البعد الخارجي الاجتماعي

ولا يقل هذا البعد أهمية عن سابقه فهو يُظهر الشخصية في محيطها الاجتماعي، ودورها مع غيرها في هذا المحيط، ومن بين المشاهد الوصفية التي تظهر هذا البعد، مشهد يظهر فيه البعد الخارجي للشخصيات ببعديه الجسمي، والاجتماعي، في قصة الكرة "فهو يحب أمه.. ويراها جميلة .. صغيرة.. على وجهها أصباغ لا تحلم بها نساء الحي.. وتعيش بعيدا عن جوهن الموبوء المملوء مشاحنات.. وعن التراب، والجامع المتهدم، والبيوت المنخفضة اللاصقة بالأرض"([24])

في هذا المشهد يظهر البعد الجسمي في وصف الشخصية بالجمال، وصغر السن، والزينة الموصوفة بالأصباغ، ويظهر البعد الاجتماعي من خلال وصف المحيط الاجتماعي المتمثل في المشاحنات، وأوصاف المكان التي تبين شظف العيش فيه، و أن الشخصية الموصوفة لا تعيش فيه بما يوحي أنها تعيش في محيط مختلف، وحال أفضل.

ومن مشاهد الوصف التي ترمز إلى حياة اجتماعية بائسة من خلال البعد الاجتماعي للشخصيات في قصة **الكرة** "أناس كبار .. ولكنهم ضعاف.. متعبون.. عيونهم هامدة.. أرجلهم ثقيلة..وخطواتهم حائرة.. وفي أيديهم أشياء.. أرغفة خبز"([25])

ج ـ البعد الداخلي

أما المشاهد التي تبين البعد الداخلي للشخصيات فكثيرة وهي التي يُظهر فيها الراوي البعد النفسي من خلا ل الإشارة إليها أحيانا، وتحليلها تحليل الراوي العليم بالشخصية أحيانا أخرى ومن بين هذه المشاهد في قصة **السبب** "من يومها والحقد يأكل قلبه..

وعلى ملامحه العريقة .. وفوق ثنايا خدوده.. ظهرت خطوط سوداء قاحلة .. لا يرويها إلا العرق.. عرق الحقد" ([26])

ومن هذه المشاهد في قصة اليمين أيضا "ويُخيل إلي أن في كلماتها دموعا حزينة، وأن ضفائرها سوداء من الحزن، طويلة تحمل الألم، وقدها الطويل يحنيه ألم لا مرئي يسيطر على كيانها" ([27]) كما هو ظاهر في هذه الوقفة الوصفية فالبعد الداخلي النفسي يظهر من خلال تحليل الراوي وتفسيراته، إذا فهو يصوره من خلال الوصف لا كما هو بل بتدخلاته، وتحليلاته.

ثانيا ـ تجليات وصف الحدث:

الوصف والحدث

يُعرف الحدث بأنه " كل ما يؤدي إلى تغير أمر، أو خلق حركة، أو إنتاج شيء" ([28]) أما عن صلة الوصف بالحدث فإن الوصف "يأتي ليكون أداة لتشييد الحدث، وتقديمه، وتطويره ونموه"([29])

ومن المشاهد الوصفية في هذه المجموعة القصصية ما كان مشهدا استهلاليا في قصة الخائفون "سكون.. دائما هذا السكون أيام الغارات، وقد خلت المدينة من الناس، وعُتمت أضواؤها، وماتت فيها كل معالم الحياة.. والسكون يحطم أعصاب الناس سكون.. دائما هذا السكون حتى الجازات في البيوت كانت تُخفى بقماش أزرق، أو تُطلى بلون قاتم حتى لا يراها راكبو الطائرات.. حتى أضواء عيوننا كنا نخاف أن تظهر في الظلام أو تلمع في الجو" ([30]) بهذا المشهد الوصفي استُهلت قصة **الخائفون** من المجموعة القصصية محل البحث، ويظهر دور الوصف في رسم صورة الخوف من الغارات التي تدور أحداث القصة حول إحداها.

وفي مشهد من قصة **السبب** يصف السارد الحدث بقوله "وامتد الحقد في عنف من قلبه إلى يديه.. كان يحس بالألم وهو يحش تحت ضوء القمر آخر جدولة برسيم بقيت له ليقدمها لبغال الجنود (...) والبارازان كصوت الغراب يملأ السماء.. وصراع حاد عميق يأكل قلبه.. ويديه (...) وفي ثانية لم يحسب لها أي حساب كان الضابط ملقى على الأرض وفي عنقه المحشة وعلى الأرض الطيبة مجرى صغير من الدم الأحمر.. وتأوه الضابط وصك وامتد لسانه ليخرج من بين أسنانه ثم..خمد إلى الأبد.. وعندما كان علي

يجـذب المحشــة عـن عنقــه ابتسـم فــي انتصــار وخطـوط العـرق تمتـد علــى جبهتــه الملتهبة"([31]) في هذا المشهد مزج السارد الكلي العلم بين وصف الشخصية في بعديها الخارجي، والداخلي مع الحدث؛ حيث اقترن وصف الشخصية الخارجي في خطوط العرق على الجبهة الملتهبة، مع الوصف الداخلي النفسي في شعور الشخصية بالحقد على الضابط الإيطالي المغتصب لأرضه، مع الحدث في حركة الشخصية في قتل الضابط الإيطالي وبهذا جمع الوصف الحدث بكامله من وصف الشخصية داخليا، وخارجيا وقت وقوع الحدث، وكذلك وصف ما قبل الحدث، وما بعده فتمثل مشهد وصفي اختزل مضمون القصة بأكملها في صورة مكتملة الأركان.

ومن المشاهد الوصفية للحدث في هذه المجموعة ما كان مشهدا ختاميا ومنه "ومع أول دلو من الماء، ومسعود في حفرة الأرانب، ويقف تحت ظل نخلته الصغيرة ونورية تحزم وسطها بردائها، وفوق كتفها الفأس، والبقرة تلف رأسها لتصعد (المجر) من جديد، ابتسمت في هناء واضاءت قلبي مئتا شمعة، وأنا أرى السور الضخم من الأسمنت المسلح بأنواره الساطعة، والجند من ورائه بأسلحتهم ينحني في انهزام أمام قطعة أرضي الصغيرة"([32]) اختزل هذا المشهد قصة **السور** التي تدور حول عزم الشخصية بيع أرضه التي ورثها عن أبيه للمستعمر الإيطالي، وقد باع كل جيرانه من حوله أراضيهم بعد أن أغراهم المال؛ ورفضُ زوجته وابنه بيع هذه الأرض التي يعيشون فيها، ويقتاتون عليها، وبعد صراع يعدل السارد الشخصية عن بيع أرضه.

ثالثا ـ تجليات وصف المكان :

ولا تتمثل أهمية المكان في السرد بوصفه الخلفية للأحداث فقط؛ بل بوصفه عنصرا حكائيا قائما بذاته فضلا عن العناصر الفنية الأخرى المكونة للسرد([33])

الوصف والمكان

يعد الوصف من أهم الأساليب في تقديم المكان ([34]) وتتمثل أهمية الوصف للمكان في أنه يعمل على تشكيله، وتقديمه، ومنحه حضورا، ودعما دلاليا ([35])

تكررت المشاهد الوصفية التي وقفت عند المكان في قصص هذه المجموعة، وتداخلت فيها صور المكان، والحدث، والشخصيات؛ ففي قصة **الطريق** يستهل السارد بضمير **الهو** القصة بوصف المكان المتمثل في السيارة، والطريق الممتدة باتجاه

بنغازي حيث يقول: "ألف خاطر.. والطريق يمتد حيث تلتقي السماء بالأرض.. وعجلات السيارة "البولمان" تلامس الطريق المرصوف وتصدر صوتا يشبه الأنين.. وهمهمات الركاب.. هذا الخليط من الركاب.. أربعون راكبا.. وكل راكب يوحي بخاطر.. حتى شخير النائمين يصعد إلى سقف السيارة ويكون كرة رمادية.. ويوحي بخاطر (...) ويمتد الطريق وكلما اعتقد السائق أنه وصل إلى حيث تلتقي السماء بالأرض هرب السراب وامتد الطريق.. وألف خاطر.. كل شيء يوحي بخاطر (...) والأنين.. واصطدام العجلات بالأرض.. والهمهمات معلقة كرات رمادية في سقف السيارة..(...) وأمل .. أمل بعيد معلق على خط التقاء السماء بالأرض" ([36])

يلاحظ في هذا التصوير الوصفي للمكان ربط الصلة بينه، وبين الحدث الرئيس للقصة الذي يدور حول ابن سائق السيارة الذي تركه مع أمه في بيتهم في طرابلس، والأم التي ترفض أن يُعالج ابنها في المستشفى خوفا عليه، فينعكس قلق الأب على ابنه في وصف الطريق، وهي هنا الفضاء الكبير الذي يمتد حيث تلتقي السماء بالأرض، وهما بالطبيعة لا يلتقيان؛ ولكن السارد أطلق هذا التوصيف ليعكس شعور السائق بطول الطريق، أما في وصف المكان الأصغر أي السيارة التي حددها بنوعها البولمان ليعطي واقعية للحدث، وصفها مع ركابها بكثرة الخواطر التي ترد في ذهنه، وتشتت أفكاره حيث يصور شخير الركاب بأنه كرة رمادية تصعد إلى سقف السيارة، والأنين الذي يرمز إلى أنين ابنه المريض، وأمل بعيد يحس به في آخر الطريق في مزج للحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية مع فضاء المكان.

أما في قصة **الخائفون** فيُظهر وصف الفضاء المكاني حالة الذعر التي تدور حولها القصة في إحدى الغارات "واختلط كل شيء في الشارع، كانت جميع الجارات يصرخن بأصوات عالية جزعة كل منهن تنادي على صغيرها، والصغار يبكون في خوف وقد تسمروا تحت الحيطان، وعربات الباعة وقد ألهبها الخوف تجري في كل اتجاه.. وجنود الطليان على عربات نارية يجولون في الشوارع يجلدون الناس بسياطهم يأمرونهم بالاختباء ومن بعيد كان الأزيز يعلو رويدا .. رويدا كاقتراب ساعة الموت" ([37]) في هذا المشهد تظهر بشاعة الحدث من خلال وصف الشارع الفضاء الواسع عند وقوع إحدى الغارات المتكررة؛ حيث أظهر وصف المكان حالة الرعب التي كان عليها الكبار، والصغار، النساء، والأطفال وحتى العربات التي يصفها السارد بأنها قد ألهبها الخوف، وأصابها الإرباك.

وفي قصة السبب امتزج وصف المكان بوصف الزمن/، والحدث حيث يقول السارد بضمير الغائب "كان الشهر من أوله أسود.. أسود كقلب يهودي حاقد جائع.. يوم أن صحا من نومه على صوت (البرزان) وتحركات عنيفة في السانية، وأوامر ولهجات ترطن.. وأحذية ضخمة ثقيلة تفسد جداول البرسيم والفول.. والفجل وخيم تنصب أمام عينيه.. وسارية كبيرة عليها العلم الإيطالي المثلث الألوان (...) وكل شيء في ذلك اليوم يقلبه إلى لون السواد وكان يقف أمام بيته مشدوها يدعك عينيه من آثار النوم .. ويقول (للتنينتي) في خضوع دون أن يفهم شيئا.. – طيب ياسنيور .. لكن علاش سانيتي أني؟"([38])

وفي قصة عاشور وصف للمكان في يوم من أيام الغزو الإيطالي "كنت أحس مئات العائلات تنقل مكانها من حينا الذي سكناه من زمن(...) وكان الجور معبقا برائحة البارود، والخوف كابوس كبير يظلل بأنفاسه الحيطان، ويجثم بظله القاتم فوق البيوت، وجحافل الجنود تتقدم وأمامها العلم الإيطالي المثلث الألوان، وظله القاتم يسير إلى جواره يغطي السواني والحيطان، ويسكن في الوسعاية حيث نُصبت خيم الجنود"([39])

ومن صور انعكاس الحالة الشعورية للشخصية على وصف المكان أيضا مشهد وصفي في قصة "واظل أنتظر الغد.. ورجلاي ترتطمان بالأرض والظلام يلف الممر.. وكنت لا أحب الظلام.. خاصة هذا الممر المظلم الطويل (...) وكنت أحس دائما بحجرتي كزنزانة.. وفي آخر الليل عندما تغمرني الوحشةوتدب في حجرتي نزنزات السكون ويهدأ كل شيء أشعر للحظة أن هناك أرجلا تمر في الممر المظلم (...) وأهب بقوة وأفتح الباب فيغمر حجرتي السكون ويتسرب إليها ظلام الممر... وأحس بضحكة يائسة يبعثها السكون وتغلقها الوحشة .. ولا أنام في آخر خطاب أحسست بوحشة أخي وهو يكتب لي قال لي في آخر خطاب أني وحشته.. وأن شارعنا المترب تلطخه الأمطار في فصل الشتاء، وأنهم جميعا يجلسون في الدكان في آخر الليل يشربون الشاي ويدخنون"([40]) يظهر هذا المشهد الوصفي للمكان حالة الغربة والشوق للأهل والوطن التي تعانيها الشخصية في غياب مخاطبات الأخ الصغير فيظهر من خلال هذا الوصف المكان المحدود المظلم الخالي من الناس، في مقابل الشارع المترب والدكان الذي يجتمع فيه الأصدقاء والخلان

المبحث الثاني ـ وظائف الوصف:

أولا ـ الوظيفة الإيهامية:

وللوظيفة الإيهامية للوصف دور في إظهار العمل القصصي أو السردي في عمومه بواقعية الأحداث، والشخوص، والأماكن، ولذلك دور كبير في شد المتلقي وإقناعه بحقيقة مجريات السرد، وذلك من خلال النقل الدقيق لمظاهر الواقع الخارجي الذي لم يكن حرفيا بل الحرص على تفكيك عناصر الحدث، ثم إعادة التكوين على أسس جمالية بوساطة الخيال([41])

ومن المشاهد التي تظهر فيها الوظيفة الإيهامية للوصف "الصمت المعلق في جو الحجرة.. الكوميدينو على اليمين فيه البخور.. والشكماجة فيها كتابات الفقهاء.. وحول صدر عليوة.. (حرز) ولكنه لا زال يحس بشيء .. فهذه الصفرة .. وعيناه الهامدتان المتعبتان .. وخفقات قلبه التي تدق في السكون .. والكحة الموحشة وهي تشق قلبه"([42]) في هذه الوقفة الوصفية يؤدي الوصف وظيفة الايهام بالواقع بوصف الحجرة التي التزمت الشخصيات فيها الصمت حتى انعكس عليها هي ذاتها؛ ثم بتصوير قطع الأثاث فيها، وقد وضع على هذه القطع ما كان الناس في المجتمع الليبي ديما يتداوون به، من كتابات الفقهاء، وأبخرة الأعشاب المختلفة، وزيادة في دقة الوصف الموهم بالواقعية الحرز المعلق على صدر الطفل المريض، مع ما يظهر من علامات المرض، والتعب على هذا الطفل مما يستدعي نقله إلى المستشفى، وهو ما تعترض عليه الأم، إذا فالوصف يرسم صورة تشعر المتلقي بحقيقتها، وتشده لمتابعة أحداث القصة، وإلى ما تؤول إليه حال هذا الحدث.

وفي مشهد آخر "وعندما امتدت يدي لترفع الكأس الباقية على المائدة أمامي .. شعرت أنني لا أرى شيئا، ثم أحسست بجسدي يثقل، ويرتخي ثم لم أحس بشيء حتى شممت رائحة الطريق، ووجدت نفسي على الرصيف.. منذ كم؟ أنا لا أدري.. فربما منذ يومين، أو يوم، أو ربما ساعة واحدة، وكان الألم ينتقل من ساقي إلى ركبتي.. ثم يصعد رويدا .. حتى يصل إلى قلبي فأحس أنني أفقد قدرتي على التنفس.. أحس السائل الأبيض الذي شربته يغلي في أعماقي ويمنعني عن الحركة" ([43]) يعمل السارد في هذا المشهد من قصة البوخة على إظهار الحدث في صورة واقعية للشخصية وهي في حالة السكر حيث الدقة في وصف مفعول السائل الأبيض أي كؤوس الخمر، وهي تدب في الجسم

حيث يظهر السارد التدرج في مفعولها من حيث الشعور بعدم الرؤية ثم ثقل الجسم ثم فقد الإحساس بشيء إلى أن انتهى الحال بالشخصية ملقاة على الطريق، وهو ما يشير إلى حالة إغماء، وفقدان وعي لم تستطع الشخصية تحديد زمنها، ويهدف السارد بهذه الدقة في وصف حركة الشخصية، والآثار الواقعة عليها بأن الشخصية في حالة سُكر شديد أنهكت الجسم حتى أفقدته الوعي، والقدرة على الإحساس، والحركة، وقد تجسد ذلك في الأسلوب التعبيري، والبعد النفسي، والحسي للشخصية، ومما يعزز الوظيفة الايهامية للوصف عرض المكان الذي وقع فيه الحدث حيث يضيف السارد "وكانت الحانة ضيقة.. أضيق من الدكان الذي أنام فيه.. أضيق من أي مكان في المدينة، وكانت الموائد تمتد على جوار الحائط المطلي بالأحمر.. وعلى جوانبها كراسٍ طويلة من الخشب القديم.. والوجوه السوداء والسمراء تتلاصق في ارتخاء .. وعلى طول المناضد تمتد أكواب من أحجام مختلفة في أعماقها سوائل من أنواع متباينة .. كل كأس يحمل الكثير، وفي الجو الممتلئ بالدخان .. المنخنق همهمة .. تلمست عيناي الطريق إلى السقف المتآكل فبدا بعيدا علي"([44]) يعمل السارد بضمير الأنا على توصيف المكان بدقة، و إظهاره في صورة واقعية بكل تفاصيلها بغرض إقناع المتلقي.

الوظيفة التزيينية :

من وظائف الوصف الوظيفة التزيينية التي تضفي "أبعادا جمالية وشمولية للشيء الموصوف، وذلك من أجل أن يتخذ شكلا أروع وسورة أبدع في ذهن المتلقي". ([45])

ولوظيفة الوصف التزيينية دور أساسي في إظهار الألوان، والهيئات، والاتجاهات، وكذلك ترتيب اللقطات، حيث يعمل الوصف على جعل القارئ يحس بالأشياء عن طريق وظيفته التزيينية فضلا عن كونها وظيفة درامية وتصويرية في آن واحد .([46])

ويشمل الوصف التزييني شكل الحدث، والشخصيات، والأمكنة، والأشياء وبتتبع قصص المجموعة محل البحث تجلى للباحثة وقفات وصفية تزيينية عدة من بينها في قصة السور "على البير تحت التوتة الكبيرة العجوز وضعت رأسي على الأرض، واستلقيت ووجهي إلى السماء الزرقاء الكبيرة ومائتي مشكلة تتناثر أمام عيني.. كنت أحس بالهواء الشرقي يلهب الزيتون ساخنا جافا فأخاف منه.. وفي الجهة الغربية أشجار النخيل .. ونخلة مسعود في الوسط صغيرة تتسلق ظهر الأرض وتحتها حفرة الأرانب .. وإلى جوارها جداول الفلفل والطماطم .. وكل هذه القطعة الصغيرة من الأرض تستلقي

تحت السماء الزرقاء الكبيرة .. ومائتي مشكلة تطل على عيني .. والتوتة العجوز تلقي دائما ظلها الوارف البارد علي"([47])

في المشهد السابق يتجلى الوصف التزييني في وضع إطار لوحة طبيعية رُسمت تفاصيلها بترتيب وتنسيق فالسارد بضمير الأنا يصف تفصيلات لوحة قطعة الأرض، وما فيها من شجرة التوت العجوز وظلها الوارف إلى أشجار الزيتون، والنخيل وجداول الخضار، والنخلة الصغيرة التي وصفها بأنها تتسلق ظهر الأرض لأنها تنمو، وتزيد، وحفرة الأرانب المستقرة تحتها، ثم يصف قطعة أرضه الصغيرة بكل ما عليها مستلقية مثله تحت السماء الكبيرة الزرقاء، وفي مقابل هذه الصورة تتزاحم الأفكار في ذهنه بعدد الجنيهات المئتين التي ستعرض عليه ليبيعها.

وفي وقفة وصفية تزيينية أخرى "وفي لحظتها أكلني التعب، وسلاسل لا مرئية من موج البحر، وهمسات السمك، ونسمات البحر تشدني إلى الغطيط، حتى أفقت مذعورا، وصوت المفتاح يدور في الصندوق الأخضر، وجرسه المبحوح يدق دقات خافتة، والتراب ينهال في كسل من فوق نحاسه الأصفر، ولمعة شعاع الشمس تنعكس مصفرة فوقه، والعجوز تبتسم، وهي تخرج بدلة سالم، وتنفض عنها بقايا الزهر". ([48])

يتجلى الوصف التزييني في هذا الجزء من قصة الصندوق في وصف نوم الشخصية "محمود" بين حالة التعب الذي وصفه لشدته بأنه أكله، وسلاسل الموج، وهمسات السمك، ونسمات البحر؛ وكل ذلك يشده إلى نوم عميق في وصف تعبيري عن الحركة "النوم" والشعور "التعب"، وقد انتقى السارد جملا، وأوصافا دالة دون غيرها أضفت على المشهد جمالية تعبيرية؛ لينتقل من بعد إلى وصف الصندوق المشارك في الأحداث من لونه الأخضر، والتراب على نحاسه الأصفر، وانعكاس شعاع الشمس الأصفر عليه، وفي هذا التوصيف يقدم السارد صندوقا خشبيا عتيقا متناسق الألوان يستقبله المتلقي، ويتصوره في ذهنه، وكأنه أمامه يراه رأى العين، ثم يكون المشهد الختامي بين محمود وأمه؛ الذي يُظهر فيه الوصف تناقض المشاعر من حزن إلى فرح ينعكس على محيط الشخصية "فأحسست بغصة فرحة، وأنا أردد كلماتها بين أضلعي، وأقول مختنقا بالدمع متمتما بشفتي فوق جبينها المعروق – كل عام وأنتِ بخير..

وبهجة لا مرئية مشرقة بلون لمعان الخشب تطلي الصندوق الخشبي الأخضر وتدفع نحاسه إلى الابتسام"([49])

في هذا المشهد تظهر جمالية الوصف في تصوير البهجة النفسية الغير مرئية في صورة حسية فاعلة؛ وهي تطلي الصندوق بلون البهجة ما يدفع النحاس الأصفر إلى الابتسام، وفي ذلك توصيف غريب مبتكر يتجاوز الوصف المحدود إلى وصف تزييني يظهر المحسوس في صورة المجرد فيضفي جمالية وتميزا.

في مشهد آخر يجسد وصف الأشياء ويظهرها في صورة محسوسة مرئية للمتلقي"وأكثر من ألف صفحة.. أكثر من مليون كلمة .. أكثر من خط يسيطر على عقلي .. ويقلب بياضه إلى سواد .. لا بل إلى لون أحمر .. فقد كنت أخط في الليل بالأحمر .. بالقلم الأحمر وبجواري الكوب الأسود .. وصوت غليظ – صب يا خوي !

وأعقاب السجائر ملقاة على الأرض .. جثثا حقيرة .. سوداء ساكنة" ([50]) في هذه الصورة يؤدي الوصف وظيفته التزيينية بوصف السارد للأفعال التي أقدم عليها ليلا في صورة ألوان رمزية يرمي من خلالها إلى التعبير عن موقفه حيال هذه الأفعال؛ فيما يبدو أنها جلسة مع صديق فقد نقل الأفعال والأشياء إلى ألوان تعبر عن السخط، والندم على هذه الأفعال فالبياض ينقلب في عقله إلى سواد، وإلى حمرة، والكوب أسود ثم يصف أعقاب السجائر بالجثث الحقيرة السوداء في وصف لا يخلو من غرابة تعكس الشعور النفسي المضطرب؛ تدلل عليه وقفة وصفية لزمن سابق "وكنت أيامها لا أحس بشيء.. كنت إنسانا كبيرا،، في قلبي أشياء.. ولكن عقلي أبيض ليس فيه خطوط سوداء أو حمراء.. وأرض حجرتي دائما نظيفة.. وأعقاب السجائر ترقد في الطفاية.. ميتة.. ولكن في احترام" ([51]) يبين هذا الجزء من السرد أن الشخصية ينقل الأفعال والأشاء إلى ألوان، وتعابير موجزة تعبر عن معان كبيرة، ويعقب المشهد الأول بتصوير وصفي للزمن بين الليل، والنهار قائم على الألوان أيضا "ويمتد خط الأفق.. حيث يلتقي الخيط الأبيض بالخيط الأسود.. لا بل بالخيط الأحمر.. فقد كان في يدي قلم أحمر.. طويل" ([52])

يتجلى الوصف بوظيفته التزيينية في مواضع عدة مما يبين أن السارد قد ركن على هذه الوظيفة، واعتمد عليها في التواصل مع المتلقي، وايصال أفكاره، وتوجهاته.

ثالثا ـ الوظيفة الايقاعيـــــة:

مـن وظـائف الوصـف الوظيفـة الايقاعيـة، وهـي "تشـكيل علاقـات منتظمـة إيقاعيـة ترابطية ما بين الأحداث، والشخصيات، والأمكنة، والأزمنة"([53])

ويقدم الوصف وظيفته الايقاعية عندما "يحدث استرخاء، وترويحا عن النفس بعد مرور الحدث، أو يثير توترا عندما يقطع السرد في لحظة حرجة وفي بعض الأحيان تكون بمثابة افتتاحية تعلق حركة الأثر ونبرته" ([54])

ومـن مشـاهد هـذه الوظيفـة مـن قصـة السـبب "ولمعـت فـي خـاطره أشـياء كثيـرة.. و(التنينتي) يكشر عن أنيابه، ويرطن بالإيطالية

- لكن علاش ناديتني.. شن فيه؟

فضحك الآخر في خيلاء.. وعندما كشر (علي) ولمعت جبهته ببريق حبات العرق وهي تتفصد من جبينه.. امتدت يد الضابط في قوة ثم هوت على صدغه، وفي ثانية لـم يحسـب لهـا (علـي) أي حسـاب كـان الضـابط ملقـى علـى الأرض وفـي عنقـه (المحشة) وعلى الأرض الطيبة مجرى صغير من الدم الأحمر.. وتأوه الضابط.. و(صك) وامتد لسانه ليخرج من بين أسنانه ثم.. خمد إلى الأبد" ([55])

فـي هـذا المشـهد تمثلـت الوظيفـة الايقاعيـة للوصـف فـي الجمـع بـين الحـدث، والمكـان، والـزمن، والشخصيات فـي داخلهـا، وخارجهـا حيث يتكلم الضـابط بلغتـه الإيطالية

يكشر عن أنيابه في تشبيه السارد له بالحيوان المفترس

ويضحك في خيلاء على تساؤل على

ويمد يده ويصفع علي

أما شخصية على:

جبينه يتصبب عرقا لانفعاله

رد فعل آني على الضابط الذي اغتصب أرضه (السانية) وبقرته بجنوده وصفعه

يضرب الضابط بالمحشة

جذب المحشة من عنق الضابط، وابتسم في انتصار

ومع سكون الليل يجري على بين السواني بعيدا عن الجثة"

فـي هذا المشـهد تحركـت الشخصـيات فـي ترتيـب، وتناسـق بينهـا فوقـع الحـدث، وتطور بحركة الشخصيات في المكان، وتنتقل الشخصية من زمن الحدث الأول إلى

زمن الحدث الختامي الليل حيث السكون وهروب على من الطليان من سانيته إلى السواني المجاورة.

فتلك مكونات الإيقاع الوصفي للقصص الأحداث من حيث وقوعها، وتشكيلها، وتنظيمها في نسق معين مع البناء الفني، والشخصيات من حيث تشكل عالميها الداخلي، والخارجي وفق حركة الفعل وردودها ما بين العالمين، والزمان، والمكان من حيث توظيفهما لرصد حركة الشخصيات عبر الأمكنة بشكل ينسج مع البناء الفني، والعالم الفكري ([56])

وبين دوران الحدث، وحركة الشخصيات في الزمن، والمكان في المشهد ظهرت وقفات وصفية لتبطئة السرد من مثل: "ولمعت جبهته ببريق حبات العرق وهي تتفصد من جبينه" وكذلك "وعلى الأرض الطيبة مجرى صغير من الدم الأحمر" وكذلك "ابتسم في انتصار وخطوط العرق تمتد من جبهته الملتهبة"

وفي قصة **الممر المظلم** "كنت أحس بحجرتي كزنزانة. وفي آخر الليل عندما تغمرني الوحشة وتدب في حجرتي نزنزات السكون.. ويهدأ كل شيء.. أشعر للحظة أن هناك أرجلا تمر في الممر المظلم.. وأحس بها تقترب.. أحس بها تقطع الممر الطويل في صبر.. وتقترب.. ويرتفع صوت ارتطامها بالأرض.. وأرفع رأسي عن المخدة وأظل أسمع.. وتواصل الأرجل سيرها والظلام يلف الممر الطويل.. وارتعاش إنسان وأنفاسه تلهب السكون، ويخفت السكون.. وأسمع إنسانا يتحرك في جلبة وصوت ملابسه يلامسها الهواء.. وأسنانه ترتعش من البرد.. وأحس به يسعل وهو يقترب ويقف أمام حجرتي ورأسي معلق بعيدا عن المخدة"([57])

في هذا الجزء من السرد يجتمع بُعدا الشخصية الداخلي المتمثل في الشعور بالوحشة، والغربة مع الرمز إليه بالخوف من الظلام، والخارجي الذي يبين مظاهر هذه الوحشة، والغربة في الخوف من الظلام والشعور بوجود تحركات إنسان آخر، في الحجرة المجاورة؛ أما الوظيفة الايقاعية للوصف فتتمثل بالإضافة إلى تمثلات البعدين الداخلي، والخارجي في تراتبية حركة الشخصية، والشخصية المتخيلة، ويمكن حصر ذلك في الآتي:

شعور الشخصية بمرور أرجل في الممر المظلم

الإحساس باقتراب الحركة

وكذلك الإحساس بها أنها تقطع الممر الطويل
ارتفاع صوت ارتطام الأرجل بالأرض
يرفع السارد رأسه عن المخدة ليركز سمعه في حركة الأرجل
الأرجل تواصل سيرها في الممر الطويل المظلم
ارتعاش الانسان المتخيل، وأنفاسه تلهب السكون
مع هذه الحركة يخفت السكون
السارد يسمع إنسانا يتحرك في جلبة، وصوت ملابسه تلامسها الريح
أسنانه ترتعش من البرد
السارد يحس بالإنسان المتخيل يسعل مع اقترابه، ووقوفه أمام حجرته
ولا زال رأس السارد معلقا بعيدا عن المخدة في قلق بانتظار أن يدق الإنسان الباب
ويظهر له أنه الخطاب الذي ينتظره من أخيه الأصغر، ولم يأته
يهب السارد بقوة، ويفتح الباب
يغمر حجرته السكون، ويتسرب إليها ظلام الممر
ويحس السارد بضحكة يائسة يبعثها السكون، وتغلفها الوحشة، ولا ينام

يتحقق الإيقاع القصصي في هذا المشهد من خلال وقوع الحدث ، و انتظامه، وتناسقه؛ فمثلا الانتظام في بداية حركة الأرجل، ثم في اقترابها في وصف دقيق يبين مراحل الاقتراب، فمع اقترابها يرتفع صوت الارتطام بالأرض، ثم مع الاقتراب أكثر يسمع السارد صوت ارتعاش الأسنان، والأنفاس، ثم اقتراب من الباب يسمع معه السارد صوت الملابس تحركها الريح، ومن بعد يسمع صوت السعال مباشرة من وراء الباب، ويتخلل حركة هذه الشخصية حركة السارد نفسه بما يوهم بواقعية الحدث حين يرفع رأسه عن المخدة لأجل الاستماع، وهي حركة معتادة يرفع فيها الإنسان أذنه عن المخدة لاستجلاء الأصوات، ويعود السارد بعد حركات عدة إلى الحركة ذاتها، و يقول: "ورأسي معلق بعيدا عن المخدة وأنا أنتظر أن يدق الباب".

ويشمل الإيقاع أيضا البعدين الداخلي، والخارجي للشخصية - وفي واقع الحال الحركات، أو الأفعال الواردة ليست بين شخصيتين، بل بين شخصية السارد التي توهمنا بأنها واقعية، والإنسان المُتخيل- و يتمثل البعد الداخلي في هذا الشعور بالغربة، والوحشة الذي صنع الحدث، وردود الأفعال التي مثلت البعد الخارجي لشخصية السارد، والشخصية المتخيلة، وشارك في الإيقاع أيضا الزمن، والمكان اللذان وقع فيهما الحدث، وتحركت الشخصية، فالمكان كان الحجرة، والممر الطويل المظلم ،والظلام هو ما يبين أن الحدث وقع ليلا.

وبهذا فمن خلال هذه الشواهد، وغيرها يمكن القول بأن الوصف بوظيفته الايقاعية كان حاضرا في عدة مواضع من قصص هذه المجموعة.

رابعا ـ الوظيفة التفسيرية:

من وظائف الوصف أيضا الوظيفة التفسيرية أو التوضيحية أو الرمزية وتعني "أن يكون للوصف وظيفة دالة على معنى في إطار سياق الحكي"([58]) وتعمل الوظيفة التفسيرية للوصف على خدمة بناء الشخصية والتأثير في الحدث ([59])

ومن مواضع هذه الوظيفة الوصفية في قصة **الطريق** "الطريق يمتد إلى حيث تلتقي السماء بالأرض.. وعجلات السيارة "البولمان" تلامس الطريق المرصوف وتصدر صوتا يشبه الأنين وهمهمات الركاب هذا الخليط من الركاب أربعون راكبا وكل راكب يوحي بخاطر .. حتى شخير النائمين يصعد إلى سقف السيارة ويكون كرة رمادية"([60]) يسعى السارد بضمير ال هو في استهلال قصة الطريق من وصفه للمكان المتمثل في الطريق، وحافلة الركاب ، وكذلك وصف الشخصيات إلى تقديم الوظيفة التفسيرية إلى حالة القلق، والاضطراب التي يشعر بها السائق، وذلك من خلال امتداد الطريق بين السماء، والأرض التي ترمز إلى إحساسه بالبعد، وطول المسافة عن ابنه المريض، وكذلك في صوت السيارة حال ملامستها للطريق المرصوف التي تصدر صوتا يشبهه بالأنين، أما الشخصيات فيسمع أصواتها همهمات، وحتى شخيرها نائمة يصعد حسب وصفه إلى سقف السيارة، ويكون كرة رمادية، وفي وقفات موالية يتضح دور الوصف التفسيري "ويمتد الطريق وكلما اعتقد السائق أنه وصل إلى حيث تلتقي السماء بالأرض هرب السراب وامتد الطريق" ([61]) و"هناك حيث تلتقي السماء بالأرض تبرز على الخط المستدير وجوه مستديرة كثيرة ..وجه ابنه الصغير"([62])

تتجسد في هذه القصة الوظيفية التفسيرية التوضيحية للوصف التي ارتبطت بالشخصية الرئيسة السائق، من خلال وصف الأماكن، والشخصيات وفق شعوره النفسي الذي ينحصر في التفكير في ابنه البعيد المريض.

أما في قصة **الخائفون** فيستهل السارد القصة بهذه الوقفة الوصفية "سكون.. دائما هذا السكون، أيام الغارات، وقد خلت المدينة من الناس، وعُتمت أضواؤها، وماتت فيها كل معالم الحياة.. والسكون يحطم أعصاب الناس.

سكون .. دائما هذا السكون.

حتى الجازات في البيوت كانت تُخفى بقماش أزرق، أو تُطلى بلون قاتم حتى لا يراها راكبو الطائرات.. حتى أضواء عيوننا كنا نخاف أن تظهر في الظلام أو تلمع في الجو وصراخات الصغار.. وعواء الكلاب، كانت في نظري مدعاة للضيق، يجب إخمادها.. فيجب أن يعم المدينة السكون.. دائما نفس السكون

أنا أذكر دائما يوما من أيام الغارات"([63])

في هذه الوقفة الوصفية الطويلة يستند السارد بضمير الأنا على الوظيفة التفسيرية التوضيحية من خلال وصف المدينة، والناس بالسكون، والهدوء الكامل، فيما يشبه انعدام الأضواء، والحركة، والأصوات، حتى أن صراخ الأطفال، وعواء الكلاب تُشعر السارد بالضيق، ويجب إخمادها، بل إنه، والناس من حوله يخافون من أضواء عيونهم أن تظهر في الظلام، أو تلمع في الجو؛ وترد عبارات توضح، وتفسر سبب هذا الخوف، "راكبو الطائرات" و "يوم من أيام الغارات" فالداعي إلى كل ما ورد في الوقفة الوصفية هو الخوف من أن تُشن على هذه المدينة غارة من الغارات وما تحمله من رعب وقتل وتدمير "واختلط كل شيء في الشارع (...) ومن بعيد كان الأزيز يعلو رويدا رويدا كاقتراب ساعة الموت (...) كانت القنابل قد ابتدأت تلقي ما في أحشائها.. وكنت أحس بها ترمي قنابلها في بيتي(...) وكنت أحس بالطائرة وهي تنزل .. بصوتها الغامض المثير.. وهي تصعد .. ثم بالقنبلة تخترق طبقات الجو لتنزل فوق رأسي حتى تنفجر.. فأتجسس رأس الصغير وأمر بيدي على طرفي حتى تصل إلى ابني المسمر تحت رجلي" ([64])

تتجسد الوظيفة التفسيرية للوصف في هذه القصة التي تلخص معنى الخوف من ويلات الحرب التي عانى منها الليبيون دونما ذنب لهم، حيث تتضمن القصة تعلق الشخصية السارد بضمير الأنا بابنه الأصغر، وحبه الكبير له، وفي يوم من أيام الغارات ومع حرص الأب على ابنه وحمايته له بنفسه وجسده إلا أن الغارة طالته ومزقت جسده الصغير ومن هنا كان الخوف في استهلال السارد من كل ما يسمع أو ينظر، ويرى النجاة في السكون الدائم

الخاتمة:

في مختتم هذا البحث هذا عرض لأبرز تجليات الوصف، ووظائفه في المجموعة القصصية محل البحث ومن بينها:

- شكّل الوصف حضورا فاعلا في عناصر القصص من شخصيات، وأحداث، وأمكنة.
- تجلت تقنية وصف الشخصيات في تصويرها بأساليب عرض مختلفة أظهرتها في أبعادها الداخلية والخارجية.
- أظهر وصف الشخصيات في أبعاد الداخلية والخارجية المستوى الفكري، والاجتماعي والاقتصادي للمواطن الليبي في النصف الأول من القرن العشرين
- تجلى الوصف في تشكيل الأحداث، وحركتها في موضوعات وطنية، واجتماعية، ونفسية.
- تجلى وصف الأمكنة في أغلب القصص، بين الفضاءات الكبيرة، والصغيرة ذات الخصوصية الليبية.
- أظهر الوصف المكان عنصرا أساسيا مرتبطا بموضوع القصص في المجموعة القصصية.
- ظهر الوصف في المجموعة القصصية بأسلوب واضح مباشر بعيد عن الصور البيانية البلاغية التي كانت سمه من سمات القص في مراحل زمنية سابقة لتاريخ هذه المجموعة.
- ظهر الوصف في تشكيلات فنية وظفت فيها الرموز والألوان.
- أدى الوصف في العناصر القصصية أغلب الوظائف المنوط بها، من تزيينية، وإيقاعية، وتفسيرية، وإيهامية، مع تفاوت في حضور هذه الوظائف.

بيان تضارب المصالـــح:
يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــش:

1. العمامي، محمد نجيب، الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، دار محمد علي، صفاقس، تونس، ط1، 2010، ص5.
2. بن جعفر، قدامة، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، ص 118.
3. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ج2، ص294.
4. الخبو، محمد، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010، ص472.
5. قاسم، سيزا، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1978، ص19.

6. برنس، جيرالد، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ع 368، ط1، 2003، ص 58.
7. قسومة، الصادق، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس، د ط، 2000، ص163.
8. هلال ، عبدالناصر، آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 2006، ص134.
9. ابن منظور، محمد مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2010، مادة قصص، ص73.
10. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة شروق الدولية، مصر، 2004، مادة القصة، ص740.
11. زيدون وآخرون، الأدب المقارن، جامعة سونن أميلا الإسلامية، 2013، ص126.
12. قاسم، سيزا، بناء الرواية، هيئة الكتاب، القاهرة، 1978، ص116.
13. الحمداني، حميد، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991، ص82.
14. حجازي، سمير سعيد، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العالمية، القاهرة، ط1، 2001، ص103.
15. تزفيتيان، تودوروف، مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمن مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، 2005، ص74.
16. عبد الخالق، أحمد، قياس الشخصية، ط1، لجنة التأليف والتعريف والنشر، الشويخ: الكويت، 2002، ص 22.
17. نجم، محمد يوسف، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955، ص94.
18. هلال، محمد غنيمي. النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1997، ص572.
19. الشاروني، يوسف، القصة القصيرة نظرية وتطبيق، سلسلة الهلال، القاهرة، ع 316، 1977، ص86-69.
20. ينظر: علوان، علي عباس، النقد الأدبي الحديث الرواية المأساوية في الرواية العراقية المعاصرة، مجلة فصول، ع 10، 1998، ص 573 .
21. المقهور، كامل حسن، المجموعة القصصية 14 قصة من مدينتي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – ليبيا، 1978، ص11.
22. م ن، ص 35.
23. 14 قصة من مدينتي، ص 36.
24. م ن، ص 33.
25. من، ص61.
26. م ن، ص104.
27. زيتوني، لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون و دار النهار، بيروت، 2002، ص74.
28. خالد، حسين، شعرية المكان في الرواية الجديدة، 2000، ص122.
29. 14- قصة من مدينتي، ص 43.
30. 14 قصة من مدينتي، ص 65
31. م ن، ص 82
32. ينظر: عزام، محمد، شعرية الخطاب السردي، مجلة دراسا، ع 38، 2012، ص65.
33. ينظر: جنداري، إبراهيم، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1990، ص 175.

34. ينظر: جنداري، إبراهيم، هامشية المكان في رواية غانم الدباغ، في ذلك الزقاق، مجلة آداب الرافدين، ع 23، 1992، ص 208.
35. 14 قصة من مدينتي، ص 7.
36. م ن، ص 50.
37. م ن، ص 61-62.
38. 14 قصة من مدينتي، ص 150.
39. م ن، ص 168-170.
40. ينظر: صالح، ولعة، المكان ودلالاته في رواية مدن الملح لعبدالرحمن منيف، عالم الكتب الحديث، عمان، 2010، ص142.
41. 14 قصة من مدينتي، ص12.
42. 14 قصة من مدينتي، ص21.
43. م ن، ص20.
44. ينظر: العاني، شجاع مسلم، البناء الفني في الرواية العربية في العراق، دار الشؤون الثقافية، 2000، ص 22.
45. ينظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990، ص 180.
46. 14 قصة من مدينتي، ص 77.
47. م ن، ص144.
48. م ن، ص 145.
49. 14 قصة من مدينتي، ص 160.
50. م ن، ص ن.
51. م ن، ص ن.
52. ينظر: عبدالعزيز، سعد، الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1970، ص 18.
53. بورنوف، رولان، عالم الرواية، تر: نهاد التكريتي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص 98.
54. 14 قصة من مدينتي، ص 64-65.
55. ينظر: الزعبي، أحمد، في الإيقاع الروائي، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، 1994، ص 10.
56. 14 قصة من مدينتي، ص 168.
57. الحمداني، حميد، بنية النص السردي، ص 79.
58. ينظر: جينيت، جيرار، حدود السرد، تر: بن عيسى بوحمالة، اتحاد كتاب المغرب العربي، 1988، ص60.
59. 14 قصة من مدينتي، ص 7.
60. م ن، ص ن.
61. م ن، ص 9.
62. 14 قصة من مدينتي، ص 43.
63. م ن، ص52.